اللصوص والسرقات وعلاقتها بأدب بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية المنشورة

The Robbers & Thefts and Their Relationship to Mesopotamian Literature in the Light of Published Cuneiform Texts

Noor Mohammed Hammood **نور محمد حمود إبراهيم**

***Prof. Dr. Waleed Saadi Mohammad** **أ.د وليد سعدي محمد**

***Correspondence author**: Waleed.saadi@qu.edu.iq

كلمات مفتاحية: اللصوص. السرقات. أدب بلاد الرافدين. النصوص المسمارية المنشورة.

Keywords: Thieves, Theft, Mesopotamian Literature, Published Cuneiform Texts.

ملخص البحث:

تعد السرقة ظاهرة اجتماعية معقدة ومتعددة الأبعاد، ولقد حاولنا في هذه الورقة تحديد أهم انعكاسات السرقة واللصوص على أدب بلاد الرافدين، وذلك من خلال التفتيش بين ثنايا النصوص المسمارية المنشورة عن كل ما له صلة، أو علاقة بالسرقة واللصوص في حضارة بلاد الرافدين.

لقد تناول هذا البحث عبر فقرات مستقلة انعكاس السرقة واللصوصية على الأدب، إذ اللص كائن مُخرّب للميثاق الإلهي، والتفتيش عن مفهوم السرقة، واللص عبر منظومة الحكم والأدب، وورود السرقة في نصوص الفأل، وحضور شخصية اللص وجريمة السرقة في المناظرات، كما أن اللص والسرقة كانا حاضرين في التشبيه، وفي الأمثال، وفي أدب الحكمة والتأملات، والشكوى والسخط والتذمر، وأخيرا في التفاخر بتوفير الأمن، جميع ذلك سيتم تناوله في هذا البحث.

لقد تناولت آداب بلاد الرافدين موضوعات متنوعة اشتملت على الحياة والموت، وخلق الكون والإنسان، وثنائية الخير والشر، ومفهوم العقاب، مما يدل على عمق تفكيرهم وثراء إنتاجهم الفكري. استقى العديد من كتّاب المناطق المجاورة لبلاد الرافدين موضوعاتهم الأدبية من نتاج تلك البلاد، وقاموا بترجمتها إلى لغاتهم، مما أسهم في انتشار الأدب الرافديني بين آداب الأمم القديمة على نطاق واسع، ويُعد الأدب الرفديني مرآة صادقة تعكس جوانب متنوعة من حياة الناس حينذاك، لاسيما في أبعادها الدينية والاجتماعية، فضلاً عن ارتباطه الوثيق ببيئته الجغرافية. وعلى الرغم من الطابع الأسطوري الذي يغلب على نصوصه، إلا أن هذا الأدب حافظ على قدر كبير من الواقعية في تصوير الحياة اليومية والمعتقدات السائدة حينذاك، ومن السمات البارزة التي تميز بها هذا الأدب كثرة نسخ النصوص الأدبية الشهيرة وانتشارها على نطاق واسع داخل حدود بلاد الرافدين وخارجها.

Abstract:

*T*heft is a complex and multidimensional social phenomenon. In this paper, we have sought to identify the principal reflections of theft and thieves in the literature of Mesopotamia, through a careful examination of published cuneiform texts for all references and indications related to theft within the civilization of ancient Mesopotamia. This study addresses, in separate sections, the representation of theft and banditry in literary sources. The thief is portrayed as a violator of the divine covenant and a disruptor of the

established moral and cosmic order. The research examines the image of the thief in wisdom literature and other literary compositions, references to theft in omen texts, and the presence of the thief and the act of theft in disputation texts. Furthermore, both the thief and theft appear in similes, proverbs, wisdom literature, reflective texts, as well as in compositions expressing complaint, resentment, and lamentation. Finally, the study highlights instances in which the provision of security and the suppression of theft are invoked as themes of pride and royal self-representation.

Mesopotamian literature addressed a wide range of themes, including life and death, the creation of the universe and humankind, the duality of good and evil, and the concept of punishment—an indication of the depth of thought and the richness of its intellectual production. Many writers in regions neighboring Mesopotamia drew their literary themes from its corpus, translating them into their own languages, which contributed to the wide dissemination of Mesopotamian literature among the literatures of the ancient world. Mesopotamian literature constitutes a faithful mirror reflecting various aspects of people's lives at that time, particularly in their religious and social dimensions, as well as its close connection to its geographical environment. Despite the predominantly mythological character of its texts, this literature preserved a considerable degree of realism in its depiction of daily life and prevailing beliefs. Among its most prominent features was the frequent copying of well-known literary texts and their broad circulation both within Mesopotamia and beyond its borders.

إشكالية البحث وموضوعه: يحتل أدب حضارات بلاد الرافدين منزلة رفيعة وعالية المستوى بين إبداعات الإنسان المتمدن ، إذ يذهب كريمر إلى أن الكفة ترجح لصالح الأدب السومري إذا ما تمت مقارنته مع روائع الآداب الإغريقية والعبرانية التي جاءت من بعده بفترات تاريخية طويلة، فلقد كان ذلك الأدب يعكس الحياة الروحية، والفكرية لحضارة قديمة، ولولاه لبقيت تلك الحضارة مجهولة بصورة عامة. ومهما قيل في أهمية هذا الأدب ودوره في التطور الحضاري والعقلي في كل الشرق الأدنى القديم، فإنه لا يكون قولاً مبالغاً فيه، ولقد أخذ الأكاديون، والآشوريون، والبابليون الآداب التي أنتجها السومريون بكاملها تقريباً، كما ترجم الحثيون، والحوريون، والكنعانيون الكثير منها إلى لغاتهم الخاصة، ثم قلدوها تقليداً واسعاً، كما تأثرت صيغة الأعمال الأدبية العبرانية تأثرا كبيرا بها.[1]

وإذا كان كريمر يتطرق لخمس وعشرين إنجاز حضاري سبق به السومريين سكان العالم القديم وتأثرت بها شعوب الشرق الأدنى ووادي النيل وبحر إيجة واليونان كان من أبرزها الكتابة

والتشريع والتعليم والطب والصيدلة والفلك والرياضيات وأدب البطولة والحكمة، فإن عالم السومريات العراقي الدكتور فاضل عبد الواحد يذهب في كتابيه: (من ألواح سومر إلى التوراة)، و(سومر ملحمة واسطورة) إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ يؤكد على أن مدوني التوراة كانوا قد تلقفوا أدب وحضارة بلاد الرافدين ثم أعادوا صياغته في كتبهم، يتجلى ذلك في قصص الخلق، وهابيل وقابيل، والفردوس المفقود، وزقورة بابل، وأناشيد الزواج المقدس، ونشيد الإنشاد، وغيرها الكثير من الصور والرموز التي تضمنتها الآداب الرافدينية، والتي تم نقلها من قبل مدوني الأدب العبري بصورة كاملة أو جزئية، صريحة أو ضمنية مع ما تم إضافته وتمثل بعض نصوصهم أقدم المحاولات المعروفة لمعالجة قضايا فلسفية كبرى.[2]

لقد تناولت آداب بلاد الرافدين موضوعات متنوعة اشتملت على الحياة والموت، وخلق الكون والإنسان، وثنائية الخير والشر، ومفهوم العقاب، مما يدل على عمق تفكيرهم وثراء إنتاجهم الفكري. استقى العديد من كتّاب المناطق المجاورة لبلاد الرافدين موضوعاتهم الأدبية من نتاج تلك البلاد، وقاموا بترجمتها إلى لغاتهم، مما أسهم في انتشار الأدب الرافديني بين آداب الأمم القديمة على نطاق واسع، ولقد تميز الأدب الرافديني بخصائص فريدة جعلته متفردًا بين الآداب القديمة الأخرى، فإلى جانب قِدمه، احتفظ هذا الأدب بأصالته، إذ وصلنا بنصوصه الأصلية التي دوّنها الكتّاب القدماء أنفسهم، دون أن تخضع لتحوير أو تعديل من قبل النساخ أو الشراح أو جامعي النصوص، ويُعزى ذلك إلى حرص النساخ البابليين والآشوريين الشديد على مطابقة نسخهم مع الأصول بدقة تامة، مما مكّن من الحفاظ على النصوص كما كُتبت على ألواح الطين قبل ما يزيد على أربعة آلاف عام.[3]

ويُعد الأدب الرفديني مرآة صادقة تعكس جوانب متنوعة من حياة الناس حينذاك، لاسيما في أبعادها الدينية والاجتماعية، فضلاً عن ارتباطه الوثيق ببيئته الجغرافية. وعلى الرغم من الطابع الأسطوري الذي يغلب على نصوصه، إلا أن هذا الأدب حافظ على قدر كبير من الواقعية في تصوير الحياة اليومية والمعتقدات السائدة حينذاك، ومن السمات البارزة التي تميز بها هذا الأدب كثرة نسخ النصوص الأدبية الشهيرة وانتشارها على نطاق واسع داخل حدود بلاد الرافدين وخارجها، ليصل إلى الشعوب والأقاليم المحيطة، مما يدل على عمق تأثيره وامتداد حضوره الثقافي في المنطقة، ويُعد النتاج الأدبي في بلاد الرافدين من أبرز المصادر التي يعتمدها الباحثون في دراسة هذه الحضارة والكشف عن مقوماتها وخصائصها الجوهرية، ذلك أن الأدب يمثل انعكاسًا صادقًا لاتجاهاتها الفكرية، ومعتقداتها الدينية، ونظرتها إلى الكون والحياة، وتُعد تلك النصوص، والمدونات الأخرى كالشرائع، والنصوص القانونية، والسجلات التاريخية، مادة أولية لفهم طبيعة هذه الحضارة.[4]

لم يُنظر إلى اللص في حضارات بلاد الرافدين بوصفه مجرمًا ارتبط فقط بفعل السرقة، بل اتخذت صورته بُعدًا رمزيًا وأخلاقيًا يتجاوز الدلالة الجنائية، فقد جعلت النصوص الأدبية والصلوات والأساطير من اللص نموذجًا للفوضى وممثلًا لقوى الظلام المضادة للنظام الذي تمثله الآلهة، كما يظهر في نقوش اللعنات الملكية وصيغ الاعتراف بالخطيئة،[5] وتؤكد نصوص الحكمة السومرية والبابلية هذا التصور عندما تصف اللص بأنه كائن منبوذ لا يعرف قلبه النور،[6] وفي المقابل، قدّمت نصوص الأدعية والتوبة صورة أخرى تُظهر إمكانية تحوّل اللص أخلاقيًا إذا ما تاب واعترف بذنبه، وهو ما يعكس رؤية دينية وأخلاقية متقدمة لمفهوم الجريمة والسلوك غير القويم.[7]

في النصوص الأدبية والدينية لبلاد الرافدين، لم يتم النظر إلى السرقة كفعل جنائي مجرد، بل بوصفها تعديًا على النظام الكوني والمقدس، سواء في الملكية أو المعرفة أو النظام الاجتماعي الذي ترعاه الآلهة،[8] وتستعرض النصوص المسمارية أهم الأمثلة على ذلك، بدءًا من الملاحم والأساطير التي تُصور السارق كرمز للفوضى واللانظام،[9] وصولًا إلى النصوص القانونية التي تحرص على الربط بين العدالة والعقوبة، والصلوات التي تعتبر الاعتراف بالسرقة خطوة نحو التوبة الأخلاقية،[10] كما تؤكد الأمثال والحِكم على الانعزال الاجتماعي للسارق وتجسيده للشر والفوضى، وهو ما يظهر في نصوص سومرية وبابلية متعددة.[11] ويأتي هذا البحث ليعالج علاقة اللصوص والسرقات بأدب بلاد الرافدين من خلال النصوص المسمارية المنشورة.

أولا- اللص ككائن مُخرّب للميثاق الإلهي:

يصور اللص غالبا في النصوص الأدبية لبلاد الرافدين كشخص ينقض العهد، أو يُحطّم الثقة المقدسة التي أقامها المجتمع، وقد ورد في (نصوص الحكمة السومرية) وصفٌ لمن يُخالف النظام، كمن يسرق، أو يخون، أو يُخفي الكذب، بأنه: **((لا يُرحّب به عند بوابات السماء، ولا تبتسم له الآلهة))**،[12] ويبدو اللص وفقا لذلك ليس شخص آثمًا فحسب، بل هو كذلك مخلّ في المبادئ الكونية التي حدّدتها الآلهة.

ثانيا- اللص كتجسيد للتمرد على السلطة الإلهية:

تظهر بعض النصوص الأسطورية الرافدينية، ولا سيما تلك المتعلقة بالكائنات الشيطانية، أن السرقة لم تُفهم على أنها جريمة اجتماعية فحسب، بل رُبطت أيضًا بالقوى الخفية التي تهدد الإنسان ليلًا، إذ العفاريت التي **(تسرق النوم من الأطفال)**، أو **(تسرق الماشية في الليل)** أنما هو تصوير أسطوري يعكس أن فعل السرقة من حيث الجوهر مرتبط بالعتمة والظلام، أي بالحيز ما قبل النظام الإلهي المنظم،[13] ووفقا لذلك يمكن القول إن اللص لدى حضارات بلاد الرافدين ليس شخصية اجتماعية خارجة عن القانون فحسب، بل هو كيان رمزي يهدد التوازن الكوني، والأخلاقي، والديني، وقد تطوّرت صورته من شيطان مدنّس إلى إنسان خاطئ قادر على التوبة، مما يعكس تحولاً في الفكر الديني باتجاه المسؤولية الأخلاقية الفردية، بدلًا من مجرد العقوبة القانونية.

ثالثا- اللص والسرقة في الأدب والحِكم:

كانت الأمثال السومرية تحذر من اللص، وتربط السرقة بالشر والطمع، ونجد في إحدى الحكم: **((اللص لا يُغني، والسارق لا يُعمّر بيتًا))**، وفي نصوص الحكمة البابلية، يُستخدم اللص نموذجًا للتحذير من السلوك المنحرف، ففي إحدى الحكم يُقال: **(اللص يجني مالًا دون تعب، لكنه لا يرث بيتًا، ولا يُبارك في اسمه، ابنك إن سرق، فلن تحلب الماعز لبنك)**، وتكشف هذه الحكمة عن وظيفة أدبية تربوية؛ إذ يتحول اللص إلى رمز للانحراف الأخلاقي الذي يقود إلى ضياع البركة.[14]

من هذا المنطلق، يتضح أن الفكر الرافديني كان قد نظر إلى السرقة واللصوصية باعتبارها جريمة أخلاقية ودينية، تتجاوز الضرر المادي لتشكّل تهديدًا للنظام الكوني والإلهي، فالسرقة في هذا السياق فعل رمزي يشير إلى الفوضى والانهيار، ويعكس هشاشة المجتمع عند غياب العدالة، كما يُعد مدخلًا للفكر العقابي والتطهير، سواء عبر العقوبات الدنيوية، أو الحساب الأخروي.[15]

رابعا- السرقة واللص في الفأل:

يُعد كشف الطالع، أو الفأل أحد أهم الطرق التي مورست في حضارة بلاد الرافدين، إذ حرص عليها سكان بلاد الرافدين بمختلف فئاتهم وطبقاتهم، وقد ارتبط الفأل بالمعطيات المستقبلية للأشخاص والملوك والبلدان وغيرها من الأمور الأخرى، وهو في العادة يرتبط بنحو أو بآخر بالفكر الديني الذي يرتبط بالعالم المعنوي أو عالم ما وراء الطبيعة، بيد أن الفأل وقراءة الطالع كان قد مورس بشكل جلي في محطات كثيرة من تاريخ حضارة بلاد الرافدين، ولا زال الى وقتنا الحالي، إذ هاجس الإنسان في معرفته مستقبله يدفعه إلى اتخاذ الوسائل المتاحة ومنها الفال، وقد آمن سكان بلاد الرافدين أن الآلهة تعرف مستقبل الإنسان وأنها ترسل الرسائل إليه عن طريق الفأل أو الأحلام لتعرفه بمستقبله.[16]

وعلى المستوى الشخصي دأب سكان بلاد الرافدين على معرفة طالعهم؛ فإن كان خيرا يشكرون الآلهة ، وإن كان شرا فإنهم يمارسون تلك الطقوس الدينية التي تدرأ الأخطار عنهم، ويمتنعون عن القيام بالأمور التي نهاهم العرافون عنها، ومن خلال الفأل والمعطيات المرتبطة كان الإنسان يسد جزء من تساؤلاته حيال مستقبله،[17] ويمكن إدراك أهمية الفأل والعرافة في حياة سكان بلاد الرافدين عبر النصوص المسمارية.

أما فيما يتعلق باللصوص والسرقات وارتباطها بالفأل، فقد أشارت لذلك بعض النصوص المسمارية، فعلى سبيل المثال أشار أحد النصوص المسمارية إلى معطيات فأل مفادها أن اللصوص إذا لم يتم ردعهم فأنهم سوف يتسببون وبما يقومون به من سرقات مستمرة ومتكررة بخسائر كبيرة وفادحة للمدينة:((...**اللصوص سوف يسببون خسائر في البلاد**...))،[18] فضلا عن ذلك أشار نصا آخر من العصر البابلي المتأخر أن اللصوص سيحولون البلاد إلى مكان خراب((...**سوف يحول اللصوص البلاد الى خراب**...)) كما أشار نصا آخر من العصر البابلي المتأخر إلى أن أحدهم سيتخلى عن مبتغاه مخافة أن يفترسه أسد، أو يتعرض لسرقة كما يتنبأ به العرافون:((...**سيجعله أسد أو لص يتخلى عن مشروعه**...)).[19] وتُظهر نصوص الفأل والنقوش الملكية البابلية أن اللصوص بعد أن تحولوا إلى تشكيلات منظمة، واندمجوا مع مجموعات أخرى؛ تمت الإشارة إليهم: بالأعداء، والأشرار، والمجرمون، والهاربون، والمشتتون، وقد كانت هذه الجماعات تعيش في المناطق الحدودية، وتشكل تهديدًا حقيقيًا لأمن الدولة واستقرارها، وتُبرز تلك النصوص الطابع العنيف والخطير لهم، مثل: ((**اللص سوف يقطع الرأس**))، و((**اللصوص سيأتون في حالة هياج**)).[20]

خامسا- اللص والسرقة في المناظرات:

يُعد موضوع المناظرات والمفاخرات أحد الموضوعات الأدبية التي تضمنتها مدونات سكان بلاد الرافدين، وهو عبارة عن حوار تفاخري ما بين متناظرين اثنين، وقد وصلنا هذا الضرب من الأدب باللغتين السومرية، والبابلية ،أما جذور هذا الضرب من الأدب فإنه يعود في أصوله إلى الأدباء السومريين، وقد أطلق السومريون على هذا النوع من الأدب بالمصطلح) ADMAN.DU11.GA (الذي يتألف من ثلاثة مقاطع: يتكون الأول من علامتين مسماريتين متشابهتين وهما علامة الرجل، أي أنه يعبر عن رجلين أو شخصين، فيما يعني المقطع(DU11) كلام، ويأتي المقطع الثالث ليمتزج بأداة الإضافة السومرية A(K) فيكون معنى المصطلح (الحوار بين رجلين).[21]

وعادة ما تبدأ المناظرة عن طريق مقدمة أدبية عن أصل الموضوع المتفاخر عليه، ومن ثم يتم تقديم وبيان مكان المتفاخرين وأهميتهم في الحياة، ثم من بعد ذلك تعرض أقوال كل من

المتفاخرين وجواب أحدهما للآخر، وتبيان فضائل ومنافع كل منهما، ليتم أخيرا الاحتكام أمام أحد الآلهة الذي يستمع لهما ويصدر حكمه،[22] أما فيما يتعلق بالمناظرين، إذ أوردت النصوص المسمارية معلومات جمة حول عدد من المناظرات التي حصلت بين الصيف والشتاء، الراعي والفلاح، الطير والسمك، الفأس والمحراث، الفضة والبرونز وغيرها من المناظرات، و يعد هذا النوع من الأدب مهما لما يظهره من معلومات تعكس فكر سكان بلاد الرافدين، أما ما يتعلق منها باللصوص؛ فقد أشارت إحدى المقطوعات الأدبية الخاصة بأدب المناظرة ما بين الكلب والذئب، إذ يتفاخر الكلب لحراسته الحظيرة، إذ يحافظ فيها على حياة الماشية نتيجة دفاعه عنها ضد اللصوص الذين يحاولون سرقة الحظيرة:((.. **في حضيرتي (التي أحرسها أنا الكلب) لا ينهب السارق**)).[23]

سادسا- اللص والسرقة في التشبيه:

استعمل سكان بلاد الرافدين التشبيه على نطاق واسع، وقد استعملت الكلمة الاكديةkima للدلالة على التشبيه، و معناها (مثل)، تقابلها في اللغة السومرية GIM، وقد لجأ سكان بلاد الرافدين إلى التشبيه لضرورات لغوية ومعنوية ، إذ تم استعمال مفردات وأشياء كثيرة لتكون مادة للتشبيه، وواحدة من المفردات التي تم استعمالها في التشبيه هي اللصوص، فعلى سبيل المثال عمد ملوك بلاد الرافدين إلى وصف أعدائهم باللصوص، وذلك تنكيرا وتحقيرا لهم، فالملك سرجون الاشوري شبه عدوه باللص الفار التارك لزوجته وعياله((**هجر زوجته وأولاده وفرّ عبر الحدود المصرية وظل هناك كاللص**))،[24] وفي نص آخر: ((**مثل الراعي الذي كان قد سرق قطيعه**))، كما أشير فيه إلى بعض الطرق التي يستعملها السارق وهي حفر الخنادق التي من خلالها يتم الولوج إلى سرقاته، وقد أشار أحد النصوص المسمارية الى ذلك:((**كاللص عند فتحة الحفرة حفرها**)).[25] ويبدو أن اللصوص لم يكونوا مستقرين في بلدهم، يجوبون البلدان هربا من قبضة العدالة والعقوبات التي قد تطالهم، وقد أشار أحد النصوص المسمارية من العصر البابلي القديم إلى ذلك:((...**عسى أن يتحرك في بلد مفتوح مثل اللص**...))[26] وفي نص آخر:((... **سأجوب البلاد الشاسعة المفتوحة كاللص**...))، كما أشار نص آخر إلى أن اللصوص ليس لديهم مكان محدد يمكنهم الذهاب إليه متى يشاؤون:((...**سأذهب، مثل اللص، إلى أي مكان أشاء** ...)).[27]

إن المضمون الذي يتعلق بالسارق وهو يعيش متنقلا بين البلدان لا يقتصر على فرد واحد، بل في أحيان أخرى يشير إلى شعوب كاملة، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب:((... **أولئك الناس الساكنين في المدينة الذين تخلصوا من نير آشور وكانوا يجوبون الجبال والصحاري مثل اللصوص**...))،[28] ويبدو أن اللصوص في تنقلهم من مكان إلى آخر لا يتركون بل يتم البحث عنهم، إذ يشير أحد النصوص من العصر البابلي الحديث الى أنه: ((...**سيتم البحث عن اللص**...))،[29] كما يبدو أن مسالة إلقاء القبض على اللصوص يعكس مشهدا مذلا للص، وكان الملوك في بلاد الرافدين يدعون على أعدائهم من الملوك بأن يقبض عليهم كما لو كانوا لصوص، إذ ينسب إلى الملك شمشي- أدد الأول قوله: ((**عسى الاله شمش ان يسلمه في أيدي ملك عدوه، كما لو كان لصًا أو قاتلًا**)).[30]

لقد كانت الطبقات الفقيرة في مجتمعات بلاد الرافدين تعاني من سوء التعامل من قبل الآخرين الذين كانوا ينظرون إليهم باستصغار، إذ يتم تمثيلهم باللصوص، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى معاملة الرجل الفقير معاملة سيئة كما لو كان لصا: ((...**يعاملون الرجل الفقير**

معاملة سيئة كاللص ويكيلون له الافتراءات ويتآمرون عليه...))،[31] وفي السياق ذاته أشار أحد النصوص المسمارية من العصر البابلي القديم إلى ذات المضمون: **((...لقد أعطوا ملابس (احتفالية) للمبعوثين من يمخاد ، ولكن رعية سيدي، الذين لم يكونوا يرتدون مثل هذه الملابس، تحدثت نيابة عنهم إلى فلان كما يلي: لماذا تميز ضدنا كما لو كنا لصوصًا؟...))**.[32]

وفيما يتعلق بنظرة سكان بلاد الرافدين إلى الحيوانات وصفاتها المشابهة لصفات اللصوص، تم تشبيه الثعلب بلص البرية، أي ارتباط اللص بالثعلب بما لديه من صفات الغدر والتسلل والتلصص وسرقة الآخرين: ((...**لص البرية، الثعلب، المتجول** ...))،[33] وفي نص آخر هناك تشبيه شخص ما (بالتنين اللص) الذي يفكر باستمرار في قتل أحدهم: ((....**مثل التنين، أنتم (اللصوص) تفكرون دائمًا في قتلي...))**،[34] أما فيما يتعلق بالذئب فقد أشير إليه كذلك باللص في أحد النصوص؛ متسائلا صاحب النص: ((... **هل سيتوصل القطيع والذئب اللص إلى اتفاق؟ ...))**، وفي السياق ذاته تساءل نص آخر: ((...**هل يستطيع التنين واللص الذي يسفك الدماء أن يتفقا؟...))**[35]

وفي ملحمة اتراحاسس البابلية ، نجد فيها ذكرا للتشبيه المتعلق بما ينتجه أحد الحقول من إنتاج مضاعف، لكنه في الحقيقة هو كاللص، بمعنى آخر كان النتاج الذي يعطيه أو يقدمه الحقل هو كاللص وغير خاضع للواقع المادي المتعارف عليه في هذا الإنتاج:((...**فليُمْطِرْ (أدد) رذاذًا في الصباح، وليُمْطِرْ نديً في الليل، حتى يُنتِج الحقل تسعة أضعافٍ خفيةً (حرفيًا كاللص)**...))[36] أما طائر الانزو فانه شبه باللص بعد أن قام بسرقة شعار معبد الايكور:((...**النسر الشرير، طائر أنزو، مثل لص سرق شعار إيكور...))**،[37] كما أن الشخص الشريف الذي يتعرض لموقف معين قد يكون في حالة لا يحسد عليها، وكأنه لص يرتجف:((...**مثل رجل شريف يأسره اللصوص ...))**.[38]

سابعا- اللص والسرقة في الأمثال:

تُعد الأمثال إحدى الجوانب الحضارية التي أبرزتها النصوص المسمارية، والمثل بأحد معانيه الاصطلاحية هو قول موجز سائر، صائب المعنى تشبه به حالة حادثة، بحالة سالفة،[39] وتُعد الأمثال ضربا من ضروب الأدب، وخاصة فيما يتعلق بأدب الحكمة،[40] والمثل عبارة عن جملة قصيرة مقتضبة ومركزة المعنى ناتجة عن تجارب الأسبقين وقد أخذت من العبر الماضية مسلكا لها،[41] بيد أن أقدم الأمثال التي وصلتنا تعود في أزمانها الى العصر السومري،[42] أما موضوعات تلك الأمثال فقد استقت مادتها من الحياة اليومية المتنوعة في حضارات بلاد الرافدين، وواحدة من المفردات الحضارية التي ارتبطت بالأمثال هي اللصوص، إذ أشار أحد النصوص المسمارية إلى أن الماشية لا يمكن أن تتصالح مع الذئب لسبب بسيط هو أن الماشية فريسة الذئب المنشودة التي يبحث عنها باستمرار، وهي تخاف منه، وتهابه وتبتعد عنه: **((...هل يمكن للماشية والذئب اللص أن يتصالحا؟...))**.[43]

ثامنا- اللص والسرقة في أدب الحكمة:

في (أمثال شروباك)، وهي من أقدم النصوص الأخلاقية في التاريخ (نحو 2500 ق.م)، يُقال: **((اللص، إذا سُمح له أن يأخذ اليوم، سيطلب غدًا المعبد كلّه))**،[44] ويمكن تحليل هذه المقالة رمزيا من خلال تصوير اللص هنا بأنه يُمثّل شهوة التملك غير الشرعي، ويُحذّر من تطبيع الجريمة الصغيرة لأنها تنمو وتبتلع النظام بالكامل،[45] وفي (نص شورتاك) نجد كذلك وصايا مباشرة

للشباب تحذرهم من السرقة: ((**لا تكن لصًا، فالآلهة ترصدك، وما يؤخذ خلسة يُسترد غصبًا**))، وهذا يُظهر أن صورة اللص وُظفت مبكرًا في التعليم السومري كأداة للتربية الأخلاقية.

تاسعا- اللص والسرقة في أدب الشكوى والتأملات:

في نصوص (شكاوى البريء)، يظهر اللص كرمز للشر المنتصر مؤقتًا، إذ يقول النص:((**اللص ينعم، والصادق يعاني... لكنني أعلم أن العدالة ستعود، وأن شمش لا ينسى**))،هذا المقطع يكشف عن جدلية أخلاقية مفادها أن اللص قد يزدهر مؤقتًا، لكن العدالة الإلهية مؤجلة لا محالة. (46)

عاشرا- التفاخر بتوفير الأمن ومطاردة اللصوص: في قصيدة مديح بحق الملك أورنمو ترد عبارة: ((**أصبحت الطرق آمنة**))، في إشارة إلى جهوده في تأمين الطرق من أخطار اللصوص وقطاع الطرق،[47] وقد انعكست هذه المساعي أيضاً في النصوص الإدارية لملوك سلالة أور الثالثة، إذ وردت إشارات متكررة تُبرز التحديات الأمنية التي واجهها هؤلاء الملوك خارج أسوار المدن، وسعيهم لتأمين الطرق والتفاخر بذلك، الأمر الذي يشير إلى الأهمية القصوى التي توليها الدولة والمجتمع في حضارات بلاد الرافدين للأمن والسلام في داخل المدن وخارجها.

وفي مقدمة قانونه، تفاخر أورنمو قائلاً: ((**لقد قمت بتأمين الطرق للسعاة، وبنيت المنازل على جانبي الطريق**))،[48] بينما نصّت المادة الثانية من القانون ذاته على: ((**إذا ارتكب رجل أعمال سرقة، يجب قتله**))، وتُبرر هذه العقوبة الصارمة بسبب ارتباط السرقة بأعمال الترهيب والنهب، مما يجعل مرتكبيها أشبه بقطاع طرق يمارسون البلطجة،[49] أما الملك شولكي (2094–2047 ق.م)، فقد تفاخر بما بذله من جهود في تحسين وتأمين الطرق، قائلاً: ((**لقد عبدت الطرق، وجهزت الطرق الرئيسية، وبنيت هناك مساكن، زرعت الحدائق بجوارها، وأنشأت أماكن للراحة، وعيّنت رجالاً ذوي خبرة فيها، من أي اتجاه جاء المسافر، يمكنه أن يجد الراحة في هدوئها، وإن حلّ الظلام، يجد الملاذ كما لو كان في مدينة مأهولة**))،[50] ويُرجّح أن هذه الإجراءات الأمنية كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد جماعات مثل lú(sa-gaz) و-la lú(gaوهي عصابات اشتهرت بأعمال السطو المسلح وقطع الطرق بين المدن.

لقد حفظت لنا النصوص المسمارية المهمة جدا سرديات الأدب والدين حيال ظاهرة السرقة واللصوصية في حضارات بلاد الرافدين، الأمر الذي أسهم في تطور تفكيرنا حول هذا الموضوع والإحاطة به من جوانبه كافة وبما يسهم في تقديم رسالة ماجستير على درجة عالية من الموضوعية والدقة العلمية، تسهم بدورها في رفد المكتبات العلمية المحلية والعربية بما يسد جوانب النقص حيال هذا الموضوع.

إذ ومن خلال التفتيش في الأبعاد الأدبية للسرقة واللصوصية في حضارات بلاد الرافدين يمكننا فهم أن المجتمع والدولة والمؤسسة الدينية تجتمع على ذم السرقة واللصوصية، بل وتحذر منها بشدة، إذ لم يتم النظر إلى السرقة واللصوصية في حضارات بلاد الرافدين على أنهما مجرد أفعال جنائية، بل اعتُبرا انتهاكًا للنظام الكوني والاجتماعي الذي تحكمه الآلهة، ما يجعل الفعل يحمل بعدًا دينيًا وأخلاقيًا إلى جانب البعد القانوني، وقد عكست النصوص المسمارية، من صلوات ولعنات وملاحم أدبية وأمثال، هذه النظرة المتكاملة للسرقة.

الاستنتاجات

ويمكننا في نهاية هذا البحث أن نستخلص مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن إجمالها بالآتي:-

1- تُعد السرقة ظاهرة اجتماعية معقدة رافقت الإنسان منذ القدم، إذ يكاد لا يخلو مجتمع من المجتمعات عبر تاريخ البشرية الطويل من محاولة الإنسان حيازة والاستيلاء على مواد وأشياء تعود ملكيتها إلى أشخاص آخرين.

2- بالرغم من أن بلاد الرافدين كانت زراعية وفيها موارد مياه عذبة كثيرة، مع وفرة في الغذاء، إلا أن البلاد لم تكن تخلو من ظاهرة السرقة التي اتخذت أنواع وأشكال عديدة، واعتمدت آليات وطرق متنوعة.

3- لم تأتي السرقة من فراغ، بل كانت لها أسباب عديدة؛ منها ما يتعلق بسوء توزيع الموارد، والتمايز الطبقي الحاد بين طبقات المجتمع، والمجاعات التي كانت تحدث بين مدة وأخرى نتيجة الفيضان أو الجفاف، كما كانت بعض أنواع السرقة تعبير عن التحدي والاحتجاج الصامت ضد السلطة.

4- من خلال النصوص المسمارية المنشورة التي وصلت لنا بفضل جهود العلماء العراقيين، والأجانب من البريطانيين، والألمان، والأمريكان تمكنا من تحديد ظاهرة السرقة عبر الحقب التاريخية والحضارية لبلاد الرافدين، كما تعرفنا على النصوص الأدبية الخاصة بها.

5- تُظهر لنا النصوص السومرية المنشورة عمق ورقي وأصالة الحضارة الرافدينية، ليس من خلال تعريفها للسرقة، وتحديد أنواعها، وإصدار التشريعات والقوانين الخاصة بها فحسب، وإنما من خلال ما ورد من نصوص أدبية وثقت الظاهرة عبر الحكايات، والأمثال والحكم.

6- تُظهر السرقة وجود النوازع الشريرة لدى النفس الإنسانية التي إذا ما توفرت لها الظروف الملائمة، مع غياب القانون والعقوبات الرادعة فأنها تنتشر بسرعة وتهدد النظام العام والأمن المجتمعي في الصميم، لذا كان لا بد من مواجهتها بالسبل الكفيلة للحد منها .

7- لم تكن السرقة تختص بطبقة أو شريحة دون غيرها، إذ أظهرت النصوص المسمارية المنشورة وجود آلهة سارقون، قاموا بالاستيلاء على ألواح القدر، أو النواميس الإلهية، كما أن هناك ملوك لصوص استولوا على مسلات بلاد الرافدين أثناء الغزوات المتكررة لهذه البلاد، ثم حاولوا نسبتها لأنفسهم من خلال تشويهها.

8- كانت السرقة حاضرة كمفهوم وظاهرة في النصوص الأدبية والدينية في حضارة بلاد الرافدين، إذ كانت كثيرا ما ترد في الأمثال والحكم والحكايات والأساطير، وكذلك في المراثي والصلوات والتراتيل التي كانت تتلى في المعابد.

الهوامش:

1. كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة د. فيصل الوائلي، الكويت 1973، ص226.
2. علي، فاضل عبد الواحد ، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1989، ص 288-394.
3. الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، الوجيز في تاريخ العراق القديم، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق ببغداد، بغداد 2014، ص268-269.
4. باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، جامعة بغداد، كلية الاداب،1976،ص5.
5. Bottéro, Jean, Religion in Ancient Mesopotamia, University of Chicago Press, 2001.
6. Alster, Bendt, Proverbs of Ancient Sumer, Bethesda: CDL Press, 1997.
7. Foster, Benjamin R. Before the Muses. (pp. 590–591, 3rd edition).
8. Bottéro, J. (2001). Religion in Ancient Mesopotamia. University of Chicago Press.
9. (Epic of Gilgamesh, Tablet VI).
10. Foster, B. R. (2005). Before the Muses, pp. 590–591.
11. Alster, Bendt, Proverbs of Ancient Sumer, Bethesda: CDL Press, 1997.
12. باقر، طه ، ملحمة كلكامش وقصص أخرى من الأدب الرافديني القديم، بغداد، 1975.
13. Scurlock, JoAnn, Magical Means of Dealing with Ghosts in Ancient Mesopotamia, in Religion, Science and Magic, 1989.pp125-127.
14. Lambert, W. G., Babylonian Wisdom Literature, Oxford University Press, Oxford, 1960, p. 112.
15. Jacobsen, Thorkild. (1976). The Treasures of Darkness. New Haven: Yale University Press.
16. Clay. A,T, Epics, Hymns, Omens and Other Texts ,BRM, Part 4. New Haven, Yale University Press, 1923.(=BRM 4), 12:27.
17. Jadd,C.J., Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum(=CT,38), London,1925, 5:108.
18. Clay. A,T, Epics, Hymns, Omens and Other Texts ,BRM, Part 4. New Haven, Yale University Press, 1923, 12:27.
19. أبو العز، محي الدين النادي، الخباطوم في العصر البابلي القديم، مصر: مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد 23، العدد1، 2022، ص273-274.
20. الجواري، هيثم أحمد، نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب -جامعة الموصل،2005،ص20.
21. باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم،بغداد،1976،ص 162.
22. باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم ،.....، ص 162-163.
23. Lambert,W.G. Babylonian Wisdom Literature, ,Oxford(1960). (=Lambert BWL), 192:25.

24. Winckler,H.,Die keilschrifttexte sargons,Leipzig(1889).(winckler sar.), pl. 26 No. 56:12.
25. Thompson,R.,Assyrian medical texts,oxford,1923, (=AMT), 67,4:2.
26. Clay. A,T, Epics, Hymns, Omens and Other Texts ,BRM, Part 4. New Haven, Yale University Press, 1923.(=BRM 4), 1:74.
27. King, L. W., Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, London (1901) . (=CT,13), 39,ii 18.'
28. Lie,G.,The inscriptions of Sargon II, king of Assyria. Part I: The Annals,geuthner,1929.(= Lie Sar),p.190.
29. Tremayne,A.,Records from erech time of cyrus and Cambyses(538-521 B.C),oxford,1925.(=YOS,7), 170:18.
30. CAD,D,80:a.
31. Lambert,W.G., Babylonian Wisdom Literature, (=Lambert BWL),Oxford(1960), 88:283.
32. Jean,C.F., Letters Diverses,Paris(1950),(=ARM,2), 76:16.
33. Lambert,W.G. Babylonian Wisdom Literature, ,Oxford(1960). (=Lambert BWL), 204, G col. B :8.
34. Landsberger ,B,and Meier,G.,Keilschrifttexte nach Kopien von T. G. Pinches. Aus dem Nachlass veröffentlicht und bearebietet (Forsetzung), AfO 12, (1937-1939),142:12.
35. CAD,S,P.345:b.
36. CAD,T,P.6.
37. Lambert,W.G.,and Millard,A.R, ATRA-ḪASĪS,The Babylonian Story of the Flood, Oxford (1969),
38. البغدادي، عبد المجيد ومعين، محمد فخر، الامثال العربية وامثالها من اللغة الاردية، مجلة القسم العربي، العدد 24 ،جامعة بنجاب لاهور، 2017، ص 301; نظام، زهراء محمود محمد، الامثال في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية-دراسة مقارنة مع اللغة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاثار، قسم اللغات العراقية القديمة،2021، ص 2.
39. الجبوري، صلاح سلمان رميض، ادب الحكمة في وادي الرافدين، بغداد،2000، ص 95.
40. باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم،.....، ص 157.
41. قاشا، سهيل، الحكمة السومرية في العراق القديم، بيروت، 2011، ص 124.
42. CAD,B,P.109:a
43. Samuel Noah Kramer, History Begins at Sumer, University of Pennsylvania Press, 1981. P.160.
44. Michalowski, Piotr, “Literature as a Source of Moral Reflection in Ancient Mesopotamia,” in: Jack M. Sasson (ed.), Civilizations of the Ancient Near East, Scribners, New York, 1995, p. 2323.

45. Kramer, Samuel Noah, History Begins at Sumer: Thirty-Nine Firsts in Recorded History, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1981, p. 165.
46. ESTCSL 2.4.1.3.
47. RIME4, 2.8.7, 148, BADAMCHI, Old Babylonian ,international Law,59.
48. أبو العز، محي الدين النادي، الخباطوم في العصر البابلي القديم، مصدر سبق ذكره، ص271.
49. ESTCSL 2.4.2.01.

المراجع باللغة العربية

1. أبو العز، محي الدين النادي، الخباطوم في العصر البابلي القديم، مصر: مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد 23، العدد1، 2022.
2. البغدادي، عبد المجيد ومعين، محمد فخر، الامثال العربية وامثالها من اللغة الاردية، مجلة القسم العربي، العدد 24 ،جامعة بنجاب لاهور، 2017.
3. الجبوري، صلاح سلمان رميض، ادب الحكمة في وادي الرافدين، بغداد،2000،
4. الجواري، هيثم أحمد، نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب -جامعة الموصل،2005.
5. الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، الوجيز في تاريخ العراق القديم، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق ببغداد، بغداد 2014.
6. باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، جامعة بغداد، كلية الاداب،1976.
7. باقر، طه ، ملحمة كلكامش وقصص أخرى من الأدب الرافديني القديم، بغداد، 1975.
8. كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة د. فيصل الوائلي، الكويت 1973.
9. علي، فاضل عبد الواحد ، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1989.
10. قاشا، سهيل، الحكمة السومرية في العراق القديم، بيروت، 2011.

المصادر باللغة اللغات الأجنبية

1. Bottéro, Jean, Religion in Ancient Mesopotamia, University of Chicago Press, 2001.
2. Alster, Bendt, Proverbs of Ancient Sumer, Bethesda: CDL Press, 1997.
3. Foster, Benjamin R. Before the Muses., 3rd edition.
4. Scurlock, JoAnn, Magical Means of Dealing with Ghosts in Ancient Mesopotamia, in Religion, Science and Magic, 1989.
5. Lambert, W. G., Babylonian Wisdom Literature, Oxford University Press, Oxford, 1960,
6. Jacobsen, Thorkild. (1976). The Treasures of Darkness. New Haven: Yale University Press.
7. Clay. A,T, Epics, Hymns, Omens and Other Texts ,BRM, Part 4. New Haven, Yale University Press, 1923.
8. Jadd,C.J., Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum(=CT,38), London,1925,

9. Clay. A,T, Epics, Hymns, Omens and Other Texts ,BRM, Part 4. New Haven, Yale University Press, 1923,
10. Winckler,H.,Die keilschrifttexte sargons,Leipzig(1889)...
11. Thompson,R.,Assyrian medical texts,oxford,1923, King, L. W., Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, London (1901) .
12. Lie,G.,The inscriptions of Sargon II, king of Assyria. Part I: The Annals,geuthner,1929.(= Lie Sar),
13. Tremayne,A.,Records from erech time of cyrus and Cambyses(538-521 B.C),oxford,1925..
14. CAD,D,80:a.
15. Jean,C.F., Letters Diverses,Paris(1950),
16. Lambert,W.G. Babylonian Wisdom Literature, ,Oxford(1960).,
17. Landsberger ,B,and Meier,G.,Keilschrifttexte nach Kopien von T. G. Pinches. Aus dem Nachlass veröffentlicht und bearebietet (Forsetzung), AfO 12, (1937-1939),

.18 Lambert,W.G.,and Millard,A.R, ATRA-ḪASĪS,The Babylonian Story of the Flood, Oxford (1969), (=Lambert Millard Atra-ḫasīs).